# المجلس (٢)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ الأتمان الأكملان عَلَىٰ المبعوث رحمةً للعالمين، وعَلَىٰ آله وصحبه أَجْمَعِيْنَ.

**أَمَّا بعد؛**

نواصل مجالسنا في تفسير كلام ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، حيث نفسر في هٰذِه المجالس: الجزء التَّاسِع والعشرين من القرآن الكريم، حيث كنا شرعنا في المجلس الماضي في تفسير السورة العظيمة سورة: المُلك؛ سورة: تبارك الَّذِي بيده المُلك، وتكلمنا في المجلس الماضي عن فضلها، وذكرنا ما ثبت في ذلك، ثُمَّ أخذنا المقطع اَلْأَوَّلُ منها ففسرنا الآيات تفسيرًا موضوعيًا إيمانيًا وجدانيًا، ففسرناها تفسيرًا تفصيلًا.

✪ واليوم إِنْ شَاءَ اللهُ نواصل تفسير هٰذِه السورة، فيتفضل الابن نور الدين وَفَّقَهُ اللهُ والسامعين يقرأ لنا.

**(المتن)**

﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ۝٥ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ۝٦ إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ۝٧ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۝٨ قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ﴾ [الملك: ٥-٩].

﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ۝١٠ فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ ۝١١ إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ۝١٢ وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۝١٣ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ۝١٤﴾ [الملك: ١٠-١٤].

(الشرح)

لما تقدمت الآيات الَّتِي تدل عَلَىٰ توحيد الله عَزَّ وَجَلَّ، وتضمنت تلكم الآيات: الآيات الكونية الدالة عَلَىٰ ذلك، وأخبرنا الله عَزَّ وَجَلَّ أنه يختبر عباده هل يُحسِنون أَوْ يسيئون، فبين سُبْحَانَهُ مصير كل فريق؛ مصير المُحسنين، ومصير المسيئين، فذكر سُبْحَانَهُ مصير الكافرين بعد أن ذَكَرَ مصير الشياطين، وأنهم في عذاب السعير، ولذلك لأن الكفار أطاعوا الشياطين فكفروا بالله عَزَّ وَجَلَّ طاعةً للشياطين، فذكر الله مصيرهم بعد ذِكر مصير الشياطين.

فهؤلاء الكفار الَّذِي أطاعوا الشياطين سيجتمعون معهم في عذاب السعير، يُلقون فيها يوم القيامة إلقاءً فيتساقطون فيها إهانةً لهم وإزلالًا، ويُلقوا فيها يؤذون بصياحها وصوتها العالي، فأول ما يلقاهم من النَّار صياح المُنكَر، وصوتٌ عالٍ من النَّار كأنه يخرج من الصدر بشدة، وهي تغلي أشد الغليان؛ لأنها نارٌ ملتهبةٌ مُسعرَة، وتغلي من غيظها عَلَىٰ هؤلاء الَّذِينَ كفروا بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ويكاد غيظها عليهم يجعل بعضها ينفصل من بعض من شدة غيظها، فيؤذون بسمعهم بالصياح، ويؤذون ببصرهم وهم يتساقطون حيث يرون غليان النَّار الَّتِي يسقطون فيها، وهي تغلي بهم كغلي الحب القليل في الماء الكثير، لا يَثبُت بعضه بعضًا، بل يتحرك ويضطرب، فهم مع كونهم في العذاب الشديد يتحركون في النَّار ويضطربون ولا تستقر أجسادهم فيزداد ألمهم ألمًا، فهي عذابٌ، وفيها عذابٌ فوق العذاب.

وكلما أُلقي فيها جماعةٌ منهم سألهم الملائكة خزنة جهنم تبكيتًا لهم، وبيانًا لعدل الله فيهم، وأنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ما ظلمهم؛ لأنه سُبْحَانَهُ قد أرسل لهم الرُسُل مبشرين ومنذرين ومبينين الحق، ومنفرين من الضلال، ومبينين مصير الكافرين، ومخوفين العباد من هٰذَا المصير، فيقول لهم خزنة جهنم: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾ [الزمر: ٧١].

فلا يستطيعون الإنكار فيقولون: ﴿بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [الزمر: ٧١]، وسمعناه ودلنا عَلَىٰ الله، ودلنا عَلَىٰ الهدى، ولكننا كذبنا الرُسُل في إنذارهم لنا، ولم نؤمن بالغيب بل عممنا تكذيب الرُسُل في كل شيء، وقلنا: ما نزل الله من شيء، وأتهمنا الرُسُل بأنهم في ضلالٍ كبير، وما ذاك إِلَّا لجهلنا.

فلو كنا نسمع سماع المنتفعين ونعقل عقل المتدبرين لآمنا، وأدركنا أن الرُسُل صادقون، وما كنا مِمَن دخل النَّار، وصاحب السعير، وصار العذاب ملازمًا له لا ينفك عنه بسبب كفره بالله عَزَّ وَجَلَّ، فأقروا بعدل الله، وعادوا عَلَىٰ أنفسهم بالملامة، واعترفوا بذنوبهم، فبعدًا لهم، فقد تحقق ولا يقربون بعده، وخسارةً لهم لا يفلحون بعدها، وشقاءً لهم لا يتنعمون بعده.

ولو أدركنا هٰذَا معاشر الفضلاء، ولو أدركنا هٰذَا أَيُّهَا الإخوة لهان علينا مع نعمة التوحيد كل ألمٍ وتعبٍ في الدنيا، فوالله إن كل ألمٍ يجده الموحد في الدنيا لهين، وإن كل تعبٍ مع نعمة التوحيد لسهل، فالألم الحقيقي هناك في النَّار لأهل النَّار، والله لو عقلت قلوبنا هٰذَا المصير لأهل الكُفر وللفُجار من أهل الإسلام إِنْ شَاءَ اللهُ أن يعذبهم لأتعبنا أنفسنا في طاعة الله، وما رأينا ذلك تعبًا، بل رأيناه لذةً، وقرة عين، فكيف لا وهو الطريق إِلَىٰ نيل فضل الله بالنجاة من النَّار، وبدخول الجَنَّة، وَالجَنَّة غالية لا تُنال إِلَّا عَلَىٰ جسرٍ من التعب.

ثُمَّ ذكر الله عَزَّ وَجَلَّ جزاء من أحسن عملًا وخاف مقام ربه، ونهى النفس عن الهوى، وكان إِذَا خلا بنفسه أمرها بطاعة الله، وزجرُها عن معصية الله، فكيف به إِذَا كان أمام الناس، فهو يتقي الله في الخلوات، ويتقي الله في الجلوات، فَإِذَا خلا عِلم أن الله يراه، وعلِم أن الله يسمعه فيخاف الله ويخاف عذاب الله.

ويا ليتنا معاشر الفضلاء نجعل الصوم مدرسةً لنا، فالصوم يعلمنا كيف نتقي الله، كيف تستوي عندنا الخلوة والجلوة، أحدنا يكون أمام الناس فيمسك عن المفطرات ثُمَّ يدخل بيته وقد في غرفته وحيدًا ليس معه أحدٌ من الناس وقد عطش عطشًا شديدًا أَوْ جاع جوعًا شديدًا ومع ذلك لا يمد يده إِلَىٰ الماء، ولا يمد يده إِلَىٰ الطعام؛ لأنه يتقي الله؛ ولأنه يخاف الله.

فيا ليتنا نجعل ذلك شعارًا لحياتنا كلها؛ نتقي الله في خلوتنا ونتقي الله في جلوتنا، فهٰذَا العبد الَّذِي خشي الله في السر ونهى نفسه عن الهوى عندما يخلو بها لَا شَكَّ أن حاله إِذَا كانت الجلوة أمام الناس سيكون كذلك، فَهٰذَا العبد له من الله عَزَّ وَجَلَّ مغفرة ذنوبه، فتُكفَر عنه ذنوبه الَّتِي يقع فيها لضعفه، فإن الإنسان مهما أتقى الله لَا بُدَّ له من ذنب، وَلَا بُدَّ من ضعفٍ يغلب، وكل بني آدم خطاء.

لكن مَن خشي الله بالغيب واجتهد في طاعة الله فإن الله عَزَّ وَجَلَّ يغفر له ذنوبه ويُكفِر عنه ذنوبه الَّتِي وقع فيها لضعفه، وله عَلَىٰ طاعته الثواب الجزيل من الله، والأجر الكبير في الجَنَّة الَّتِي أعد الله فيها لعباده المتقين ما لا عين رأت، ولا أذنٌ سمِعَت، ولا خطر عَلَىٰ قلب بشر.

ثُمَّ نبه الله عَلَىٰ أنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا تخفى عليه خافية، فالسر عنده علانية، والجهر لا يختلط بغيره، فإن أسر الإنسان علِم الله ما أسره، وإن جهر الإنسان وجاهر لم يشتبه بغيره، ولم يختلط صوته بصوت غيره، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عليمٌ بذات الصدور من الاعتقادات، والإرادات، والأعمال القلبية، ولا يُعامِل عباده بالصور، وَإِنَّمَا يؤاخذهم بالحقائق.

وفي هٰذَا تهديدٌ للمنافقين الَّذِين يُظهِرون الإسلام ويبطنون الكفر، ويظنون أنهم يخادعون الله كما يخادعون الناس، الله بهٰذَا يهددهم أنه يعلم حقيقة ما في صدورهم، وفي هٰذَا أَيْضًا موعظة للمؤمنين ليعتنوا بإصلاح السرائر مع إصلاح الظواهر، فلا ينبغي للإنسان أن يعتني بإصلاح ظاهره ويغفل عن قلبه، فينبغي أن تكون عنايته بقلبه أعظم من عنايته بظاهره.

لكن لا ينبغي له أن يَزعُم أنه يعتني بقلبه ويهمل ظاهره، فبعض الناس إِذَا عاتبته عَلَىٰ مُنكرٍ يُظهِره قَالَ: القلب عمران، وهنا الإيمان، فوالله لو صلح القلب لصلحت سائر الجوارح، فالقلب مَلِكٌ والجوارح جنود، وإِذَا أراد الملك أطاعت الجنود، «أَلَا وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً: إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ القَلْبُ».

فالله يعظ المؤمنين بأن يعتنوا بإصلاح سرائرهم، وإصلاح ظواهرهم، ألا يعلم مَن خلق الخلق، ألا يعلم سرهم ونجواهم وهو سُبْحَانَهُ الَّذِي خلقهم، بلى إنه سُبْحَانَهُ لعليمٌ بهم، وهو سُبْحَانَهُ اللطيف الَّذِي يعلم الأمور مهما خفيت، اللطيف هو الَّذِي يعلم الأمور مهما خفيت ويعلم ما في القلوب، وهو سُبْحَانَهُ الخبير الَّذِي أحاط علمه بالظواهر والبواطن، والإصرار والإعلان، وبكل شيء، فما أعظمها من موعظة.

يا أَيُّهَا الإنسان إنك كادحٌ إِلَىٰ اللطيف الخبير فملاقيه، فانظر مَاذَا تُقدِم، وانظر مَاذَا تعتقد، وانظر مَاذَا تعمل، فإن الَّذِي سيحاسبك لا تخفى عليه خافية، ثُمَّ نعود ونقرأ ما كتبه الإمام السِعدي رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ونُعلِق عَلَىٰ ذلك.

(المتن)

قَالَ الإمام عبد الرحمن بن ناصر السِعدي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ﴾ [الملك: ٦]، ولهذا كان أتباعهم من الكفار مثلهم، قد أعد الله لهم عذاب السعير، فلهذا قال: ﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [الملك: ٦] الَّذِي يهان أهله غاية الهوان.

﴿إِذَا أُلْقُوا فِيهَا﴾ [الملك: ٧] علىٰ وجه الإهانة والذل ﴿سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا﴾ [الملك: ٧] أي: صوتًا عاليًا فظيعًا، ﴿وَهِيَ تَفُورُ﴾ [الملك: ٧].

(الشرح)

يعني: كان أتباع الشياطين من الكفار مثل الشياطين، فهم يجتمعون في الكفر في الدنيا ويجتمعون في جهنم في الآخرة.

(﴿سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا﴾ [الملك: ٧] أي: صوتًا عاليًا فظيعًا)؛ والشهيق يا إخوة هو: الصوت الَّذِي يخرج من الصدر بقوة، والمراد هنا: الصوت العالي، والصياح المُفزِع، فأَوْل ما يؤذيهم من النَّار هٰذَا الصوت، إِذَا أُلقوا قبل أن يصلوا إِلَىٰ النَّار يؤذيهم صوتها وصياحها.

وترك الشيخ: (﴿وَهِيَ تَفُورُ﴾ [الملك: ٧])؛ ومعناها: تغلي، وذلك لسببين:

- **السبب الأول:** أنها نارٌ مُسعَرَةً، فجمرةً منها لو وضعت في أخْمُص قدم عبدٍ لغلا دماغه؛ لو أن جمرة والعياذ بالله من النَّار وضعت في باطن قدم عبدٍ كما سيكون فإن دماغه تغلي من شدة غليانه، فكيف بمَن تحيط به النَّار -وَالعِيَاذُ باللهِ-.
- **والسبب الثاني:** لأنها مُغتاظةٌ من هؤلاء الكفار الَّذِين يُلقون فيها بسبب كفرهم بالله عَزَّ وَجَلَّ.

(المتن)

قَالَ: ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ﴾ [الملك: ٨] أي: تكاد عَلَىٰ اجتماعها أن يفارق بعضها بعضًا، وتتقطع من شدة غيظها عَلَىٰ الكفار، فما ظنك ما تفعل بهم، إِذَا حصلوا فيها؟ ثُمَّ ذَكَرَ توبيخ الخزنة لأهلها فَقَالَ: ﴿كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾ [الملك: ٨] أي: حالكم هٰذَا واستحقاقكم النَّار، كأنكم لم تخبروا عنها، ولم تحذركم النذر منها.

﴿قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ﴾ [الملك: ٩]، فجمعوا بين تكذيبهم الخاص، والتكذيب العام بكل ما أنزل الله، ولم يكفهم ذلك حَتَّىٰ أعلنوا بضلال الرسل المنذرين وهم الهداة المهتدون، ولم يكتفوا بمجرد الضلال، بل جعلوا ضلالهم، ضلالا كبيرًا، فأي عناد وتكبر وظلم، يشبه هٰذَا.

(الشرح)

معنى تميز يعني: تتقطع وينفصل بعضها عن بعض، فَهٰذِه النَّار الَّتِي تغلي هٰذَا الغليان غيظًا عليهم كيف ستفعل بهؤلاء، فهي ليست مجرد نار مُسعرَة، بل هي متغيظة عليهم حانِقة عليهم، فيصلهم منها أبلغ العذاب عياذًا بالله من جهنم.

(ثُمَّ ذَكَرَ توبيخ الخزنة لأهلها فَقَالَ: ﴿كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾ [الملك: ٨])؛ فوج يعني: جماعة من الكفار، فيسألهم الملائكة الخزنة عَلَىٰ سبيل التوبيخ والتقريع، وإقامة الحُجة عليهم، ونذير أي: رسول من الله يُنذِركم هٰذَا المصير.

(فجمعوا بين تكذيبهم الخاص، والتكذيب العام بكل ما أنزل الله)؛ فهم مكذبون للرُسُل في كل ما جاءوا به.

(ولم يكفهم ذلك حَتَّىٰ أعلنوا بضلال الرسل المنذرين وهم الهداة المهتدون)؛ وهكذا أهل الباطل يا إخوة لا يكتفون بفعل الباطل، بل يرون أهل الحق عَلَىٰ باطل.

فإِذَا رأى بعض الناس شابًا عَلَىٰ سُنَة وهم عَلَىٰ بِدعة، أَوْ عَلَىٰ فِسق ما يكتفون بأنهم عَلَىٰ الباطل، بل يتهمون هٰذَا الشاب بأنه مُنحرِف وأنه عَلَىٰ ضلال -وَالعِيَاذُ باللهِ-.

(المتن)

**قَالَ: ﴿وَقَالُوا﴾** [الملك: ١٠] معترفين بعدم أهليتهم للهدىٰ والرشاد: ﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [الملك: ١٠]، فنفوا عن أنفسهم طرق الهدىٰ، وهي السمع لما أنزل الله، وجاءت به الرُسُل، والعقل الَّذِي ينفع صاحبه، ويوقفه عَلَىٰ حقائق الأشياء، وإيثار الخير، والانزجار عن كل ما عاقبته ذميمة، فلا سمع لهم ولا عقل، وهذا بخلاف أهل اليقين والعرفان، وأرباب الصدق والإيمان، فإنهم أيدوا إيمانهم بالأدلة السمعية، فسمعوا ما جاء من عند الله، وجاء به رسول الله، علمًا ومعرفة وعملًا.

(الشرح)

(﴿وَقَالُوا﴾ [الملك: ١٠] معترفين بعدم أهليتهم للهدىٰ والرشاد)؛ وبجهلهم وجنايتهم عَلَىٰ أنفسهم؛ يعني: معترفين بجهلهم وأنهم هم الَّذِين جنوا عَلَىٰ أنفسهم.

(فلا سمع لهم ولا عقل)؛ لا سمع لهم ينتفعون به، وَإِلَّا فالأذان تسمع لكن بلا نفع، ولا قلب لهم يعتبرون به، وَإِلَّا فلهم قلوب لكنها عمياء عن الحق وعن الاعتبار، وعن التَّفَكُّر، وَالتَّدَبُّر.

(المتن)

قَالَ: والأدلة العقلية: المعرفة للهدىٰ من الضلال، والحسن من القبيح، والخير من الشر، وهم -في الإيمان- بحسب ما مَنَّ الله عليهم به من الاقتداء بالمعقول والمنقول، فسبحان مَن يختص بفضله مَن يشاء، ويَمُنُّ علىٰ من يشاء من عباده، ويخذل من لا يصلح للخير.

قَالَ تعالىٰ عن هؤلاء الداخلين للنار، المعترفين بظلمهم وعنادهم: ﴿فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [الملك: ١١] أي: بعدًا لهم وخسارة وشقاء.

فما أشقاهم وأرداهم، حيث فاتهم ثواب الله، وكانوا ملازمين للسعير، الَّتِي تستعر في أبدانهم، وتطلع عَلَىٰ أفئدتهم.

(الشرح)

﴿فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ﴾ [الملك: ١١]؛ أي: بكفرهم.

(أي: بعدًا لهم وخسارة وشقاء)؛ هٰذَا معنى: سُحقًا، وقَالَ بعض العِلماء: السُحقُ وادٍ من أودية جهنم.

(المتن)

قَالَ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الملك: ١٢] لما ذَكَرَ حالة الأشقياء الفجار، ذَكَرَ حالة السعداء الأبرار فَقَالَ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ﴾ [الملك: ١٢] أي: في جميع أحوالهم، حَتَّىٰ في الحالة الَّتِي لا يطلع عليهم فيها إِلَّا الله، فلا يقدمون عَلَىٰ معاصيه، ولا يقصرون فيما أمر به، ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾ [الملك: ١٢] لذنوبهم، وإذا غفر الله ذنوبهم؛ وقاهم شرها، ووقاهم عذاب الجحيم، ولهم أجر كبير وهو ما أعده لهم في الجَنَّة، من النعيم المقيم، والملك

الكبير، واللذات المتواصلات، والمشتهيات، والقصور والمنازل العاليات، والحور الحِسان، والخدم والولدان، وأعظم من ذلك وأكبر، رضا الرحمن، الذي يحله الله علىٰ أهل الجِنان.

(الشرح)

(﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الملك: ١٢])؛ الخشية ليست مجرد خوف هي خوف مع العِلم بمَن يخافه، فإذَا جمع الإنسان الخوف مع العِلم بمَن يخافه فقد خشيه، فالمؤمن يعلم الله عَزَّ وَجَلَّ ويعرفه بأسمائه وصفاته ويخافه.

﴿بِالْغَيْبِ﴾ [الملك: ١٢]؛ يعني: عندما يكون أحد غائبًا عن الناس يخاف الله، وإذَا كان يخاف الله في الغيب فمَن باب أَوْلى أن يخاف الله في الحضور، إذَا كان بحضرة الناس.

**وقَالَ بعض أهل العِلم:** أي: يخشون ربهم وهو غائبٌ عنهم، فخافونه ولم يروه، فهم يخافونه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- ولم يروه وذلك لعِظم إيمانهم.

(أي: في جميع أحوالهم، حَتَّىٰ في الحالة الَّتِي لا يطلع عليهم فيها إلَّا الله، فلا يقدمون عَلَىٰ معاصيه، ولا يقصرون فيما أمر به، ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الملك: ١٢])؛ الإنسان يقدُم يوم القيامة بذنوبٍ وأعمالٍ صالحة، والكلام عن الموحد، والله عَزَّ وَجَلَّ يحب المغفرة، ويحب العفو وهو عفو، وقد جعل أسبابًا كثيرة لمغفرته وعفوه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، أعظمها: رحمته سُبْحَانَهُ، وعفوه سُبْحَانَهُ؛ فقد يعفو الله بلا سببٍ من العبد، وهٰذَا أعظم أسباب العفو، ويَقدُم بأعماله الصالحة والله يضاعفها له، ويعظم له الثواب.

فوالله يا إخوة إننا إذَا أيقنا بهٰذَا؛ أن نحرص عَلَىٰ توحيدنا أحرص من حرص الأغنياء عَلَىٰ أموالهم، فهو والله أغلى من كل أموال الدنيا، ونحرص عَلَىٰ أن نطيع ربنا، فإننا إن وحدنا وأطعنا جمع الله لنا بين الثواب عَلَىٰ الطاعة والمغفرة للذنوب، فيا ليتنا نفقه ونُحرِك هٰذِه القلوب.

(المتن)

قَالَ: ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۝١٣ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ۝١٤﴾ [الملك: ١٣-١٤].

هذا إخبار من الله بسعة علمه، وشمول لطفه فَقَالَ: ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ﴾ [الملك: ١٣] أي: كلها سواء لديه، لا يخفىٰ عليه منها خافية، فـ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [الملك: ١٣] أي: بما فيها من النيات، والإرادات، فكيف بالأقوال والأفعال، التي تسمع وترىٰ.

ثُمَّ قَالَ مستدلًا بدليل عقلي علىٰ علمه-: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ ۝١٤﴾ [الملك: ١٤] فمن خلق الخلق وأتقنه وأحسنه، كيف لا يعلمه ﴿وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ۝١٤﴾ [الملك: ١٤] الذي لطف علمه وخبره، حَتَّىٰ أدرك السرائر والضمائر، والخبايا والخفايا والغيوب.

وهو الَّذِي ﴿يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ [طه: ٧]، ومن معاني اللطيف: أنه الَّذِي يلطف بعبده ووليه، فيسوق إليه البِّر والإحسان من حيث لا يشعر، ويعصمه من الشر، من حيث لا يحتسب، ويرقيه إِلَىٰ أعلىٰ المراتب، بأسبابٍ لا تكون من العبد عَلَىٰ بال، حَتَّىٰ إنه يذيقه المكاره، ليتوصل بها إِلَىٰ المحاب الجليلة، والمقامات النبيلة.

(الشرح)

(﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ﴾ [الملك: ١٣])؛ أي: أخفوه فتكلموا خِفية، فإن الله يسمعه.

﴿أَوِ اجْهَرُوا بِهِ﴾ [الملك: ١٣] أي: أظهروه فإن الله يسمعه، ولا يختلط بغيره.

الملايين من المسلمين يدعون الله، وربما اجتمعوا في وقتٍ واحد في رمضان يدعون الله فلا يختلط عَلَىٰ الله صوت واحدٍ منهم بآخر، ولا تختلط حاجة أحدهم بحاجة الآخر، الله أكبر يا إخوة، فإن تكلمت بخير سمعه الله أخفيته أَوْ أظهرته، وإن تكلمت بشر سمعه الله أخفيته أَوْ أظهرته.

ولذلك: «وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ»؛ لأن الله عَزَّ وَجَلَّ يسمع كلامك أَمَّا تستحي من الله، فوالله يا إخوة ولله المثل الأعلىٰ لو قيل لنا: إن حاكمًا، أَوْ أميرًا، أَوْ ملِكًا، أَوْ رئيسًا موجود في المجلس لتأدبنا، وحرصنا عَلَىٰ ألا نقول كما يقَالَ إِلَّا كلاما موزونًا، فكيف ونحن بين يد الملك سُبْحَانَهُ يسمع كلامنا، ألا نتأدب مع الله.

يا أخي إِذَا أمسكت الهاتف وأنت بمفردك تيقن أن الله يسمع ما تقول، إن تكلمت في أخيك فالله يسمع، إن تكلمت في حرام فالله يسمع، إن كتبت في الهاتف هٰذَا فالله يسمع ما تقول ويرى ما تكتب، والملائكة تكتب، وجوارحك عليك يوم القيامة تشهد، ألا نستحي من الله فيا ليتنا الله نفقه، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ سميعٌ بصير، لطيفٌ خبير.

(كيف لا يعلمه ﴿وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك: ١٤] الذي لطف علمه وخبره)؛ اللطيف كما يقول العِلماء هو: الَّذِي يعلم دقائق الأمور وخفاياها، ويعلم ما في الضمائر والصدور، ومع عِلمه يُحسِن إِلَىٰ عباده من حيث لا يحتسبون، بل يُحسِن إليهم حَتَّىٰ وهم يسيئون.

فيفعل الواحد المعصية ويُحسِن الله إليه ويستره وما يفضحه، وهو قادرٌ سُبْحَانَهُ عَلَىٰ فضحه، سُبْحَانَهُ لطيف يعلم دقائق الأمور وخفاياها ويُحسِن إِلَىٰ عباده حَتَّىٰ عندما يسيئون، من لطفه: أن العبد إِذَا أذنب الذنب، أَوْ قَالَ الذنب يُمسِك الملَك عن الكتابة وما يكتب، لعله أن يرجع عن ذلك فلا يُكتَب عليه أصلًا، هٰذَا قبل المغفرة يقول الإنسان الكلمة فيُمسِك الملَك ما يكتبها عليه في كتابه الكلمة السَّيِّئَة، رجاء أن يرجع عنها فلا تُكتَب أصلًا، ثُمَّ إِذَا كُتِبَت فإنه لا يجازي بالسيئة إِلَّا بمثلها، ويعفو عن كثير سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

(ومن معاني اللطيف: أنه الَّذِي يلطف بعبده ووليه، فيسوق إليه البِّر والإحسان من حيث لا يشعر، ويعصمه من الشر، من حيث لا يحتسب، ويرقيه إِلَىٰ أعلىٰ المراتب، بأسبابٍ لا تكون من العبد عَلَىٰ بال، حَتَّىٰ إنه يذيقه المكاره، ليتوصل بها إِلَىٰ المحاب الجليلة، والمقامات النبيلة)؛ ولذلك قَالَ ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: **"واسمه اللطيف يتضمن علمه بالأشياء الدقيقة، وإيصاله الرحمة بالطُّرُق الخفية"**.

**(المتن)**

**قَالَ:** ﴿هُوَ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴿١٥﴾ أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِى السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِى السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ بَصِيرٌ﴾ [الملك: ١٥-١٩]

﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ يَنْصُرُكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ ﴿٢٠﴾ أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَلْ لَجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾ أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾ قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [الملك: ٢٠-٢٤].

**(الشرح)**

في هٰذِه الآيات يذكر الله عَزَّ وَجَلَّ ويُذكِر عباده بنِعَمٍ عظيمة من نِعَمِه عَلَىٰ خلقه، ومنها: تسخيره الأرض لهم، وتذليل إياها لهم بأن جعلها مستقرةً ساكنة لا تتحرك باضطرابٍ واهتزاز، وجعل فيها جبالًا راسيات، وهيأ فيها السبُل والمنافع، فأخبرهم سُبْحَانَهُ أنه جعل الأرض سهلةً لهم كالجمل الذلول، كيفما يُقاد ينقاد، ولو قاده ولدٌ صغير.

والعرب تسمي الجمل: بالذلول؛ لأنه سهل الانقياد، فكيفما قيد ينقاد، فالله جعل الأرض سهلةً للناس ينتفعون بها، ولم يجعلها مستصعبةً عليهم، بل جعلها قرارًا ومِهادًا وثبتها بالجبال، وأجرى فيها العيون والأنهار، وجعل فيها الأرزاق، فالأرض كلها مُذللة حَتَّىٰ أعاليها وجبالها يستطيع الإنسان أن يمشي فيها، وإِذَا كان هٰذَا في أعاليها فالمشي في سهولها وأَوْديتها أيسر.

وأمر الله عَزَّ وَجَلَّ لما ذَكَرَ ذلك أمر الكفار بالسير في الأرض والمشي في أرجائها متطلبين الرِزق، وأشعرهم أنهم لن ينالوا إِلَّا ما كتبه الله لهم من رزقه، ولذلك قَالَ: ﴿وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ﴾ [الملك: ١٥]، هٰذَا الرزق لا تحصلونه بسعيكم، وَإِنَّمَا السعي سبب والرزاق هو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فكلوا من رزقه وإليه سُبْحَانَهُ سترجعون يوم القيامة، فمع تهيئة الأرض لكم فإنكم لن تستقروا عليها، ولن تدوموا عليها، بل أنتم فيها كمسافرٍ استظل في ظل شجرة، ثُمَّ راح وتركها، فسيُدرِكُكم الموت وتصيرون إِلَىٰ الله، فالدنيا وإن ذُلِلَت أرضها دار ممر وليست دار مقر.

فدلهم بهٰذَا سُبْحَانَهُ عَلَىٰ ربوبيته، وأظهر لهم حِكمته، ولطفه، وقدرته، وذكرهم باليقين الَّذِي يتناسونه وهو الموت، وبين لهم أن الَّذِي ذلل لهم الأرض سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قادر عَلَىٰ أن يعذبهم بكفرهم في أرضهم، بأن يخسف بهم الأرض فإِذَا هي تضطرب وتهتز اهتزازًا شديدًا فيكون عذابهم من تحتهم.

وهو سُبْحَانَهُ قادرٌ أَيْضًا عَلَىٰ: أن يُرسِل عليهم من فوقهم حجارةً صِغارًا مع ريحٍ أَوْ بدون ريح تُسقَط عليهم فتهلكهم كما كان مع أصحاب الفيل، فيكون عذابهم من فوقهم، الله الَّذِي خلقهم وخلق

لهم وذلل لهم الأرض قادرٌ عَلَىٰ أن يأتيهم بعذابٍ من تحت أرجلهم، وقادرٌ عَلَىٰ أن يأتيهم بعذابٍ من فوقهم، وعند ذلك سيعلم الكفار المكذبون كيف إنذار الله وعقاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ويعلم الكفار صِدق الرُسُل الَّذِين خوفوهم من عذاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وذلك لا ينفعكم في ذلك الوقت.

وبين لهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: أن العاقل هو الَّذِي يعتبر بغيره، ولا يكون عِبرةً لغيره، وهم يمشون في الأرض يسافرون ويمرون عَلَىٰ ديار القوم الَّذِين سبقوهم بالكفر فعذبهم الله عَزَّ وَجَلَّ، وأهلكهم، ودمرهم، ويرون كيف كان إنكاره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَلَىٰ مَن كفر من الأُمَم قبلهم، لكنهم لا يعتبرون بذلك.

وبين سُبْحَانَهُ: أن الآيات والبراهين واضحة أمامهم فيرونها بأعينهم، ولكن لا يرونها بقلوبهم فقلوبهم مُنكِرة، فأبصارهم ترى وقلوبهم عمي لا يرون الآيات، ولا يعتبرون بها، فلا ينتفعون بما يرون، فهم يرون الطيور وهي تطير في السماء تبسط أجنحتها حينًا وتقبض أجنحتها حينًا آخر ومع ذلك هي مُعلقةً في الهواء لا تقع.

فمَن الَّذِي علمها كيف تطير، ومَن الَّذِي علمها كيف تمد جناحها، ومَن الَّذِي علمها كيف تقبض جناحها، ومَن الَّذِي يمسكها عندما تطير إنه الله، ولا أحد غير الله، وهو سُبْحَانَهُ بصيرٌ بما يُصلِحهُم وما يصلح لهم، لكن الكفار مع رؤيتهم براهين الربوبية بأعينهم لا يرونها رؤية انتفاع، ولا يعتبرون بما يرون.

**لعلنا نقف عند هٰذَا لأننا ما نريد أن نُطيل عَلَىٰ الإخوة، ونُكمِل إِنْ شَاءَ اللهُ غدًا بقية هٰذَا المقطع، ونُعلِق عليه، ونختم السورة غدًا إِنْ شَاءَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ.**

**وَصَلَّ اللهُ عَلَى نَبِيِّنَا وَسَلَّمَ.**